المحاضرة الأولى: مفهوم علم الاجتماع

تمهيد:

يعد علم الاجتماع أحد العلوم التي ركزت اهتمامها على دراسة الإنسان في المجتمع، وحاولت بناء معارف ونظريات تساعد على فهم المجتمع ومكوناته وعلاقاته وما يتخلل ذلك من تطورات، ويعتبر ميدان علم الاجتماع من أبرز ميادين العلوم الاجتماعية ثراء وتنوعا، وهذا من خلال الاختلافات النظرية الموجودة حول تحليل الظاهرة الاجتماعية، والتي تعود دوافعها إلى الاختلافات الإيديولوجية بين المفكرين، أو إلى الطبيعة البشرية والعوامل المتحكمة فيها.

1) تعريف علم الاجتماع

يعتبر علم الاجتماع من العلوم الإنسانية الهامة التي تعنى بفهم و دراسة الحياة الاجتماعية للإنسان، والعلاقات والنظم والفعاليات التي تنتظم بموجبها البنية الاجتماعية، وهو في جوهره يقترب من العلوم الفلسفية والتاريخية والاقتصادية والسياسية، ويختلف بموضوعه ومنهجه من خلال دراسته للوقائع و الظواهر والأنظمة الاجتماعية و الوعي الاجتماعي.

وقبل إعطاء مفهوم لعلم الاجتماع والتطرق إلى تعريفاته تجدر بنا الإشارة إلى أن علم الاجتماع قد تنوعت مسمياته و المصطلحات التي أطلقت عليه لاسيما خلال نشأته الأولى وبداية ظهوره في القرن التاسع عشر.

المسميات:

ارتبطت تسمية علم الاجتماع (Sociology بالعالم الفرنسي أوغست كونت A.Comt الذي كان أول من أشار إلى مصطلح الفيزياء الاجتماعية La Physique

Sociale نظرا للفيزياء الطبيعية، التي تهتم بدراسة عالم الطبيعة الخارجي، وجاءت هذه التسمية من قبل كونت كنوع من غيرته لوجود مجموعة من العلوم الطبيعية التي كرست لدراسة المشاكل والظواهر البيئية والطبيعة الخارجية، ولا يوجد علم محدد أو مميز يركز على دراسة الإنسان والمشكلات الاجتماعية التي ارتبطت به ومن ثم تكمن أهمية وجود هذا العلم في دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية على أسس علمية مدروسة.

وقد غير أوغست كونت مصطلح الفيزياء الاجتماعية عام 1838م بعد أن نشر الباحث البلجيكي أدولف كيتليه A.Quetelet دراسة إحصائية مرتبطة بدراسة المجتمع، أطلق عليها تسمية الطبيعة الاجتماعية ،فأطلق كونت تسمية جديدة على علمه أسماه بالسوسيولوجيا LA Sociology، و هي كلمة فرنسية تنقسم إلى قسمين : Societas وهي كلمة يونانية تعني الجماعة، و Locos وهي كلمة يونانية تعني الدراسة والبحث على المستوى العلمي.

وقبل هذا بقرون أطلق المؤسس الأول لعلم الاجتماع ابن خلدون تسمية علم العمران البشري على هذا العلم، على الرغم من انه لم يكتب له أن أسند إليه ،كما سماه كارل ماركس بعلم الاجتماع، وجون ستيوارت ميل الذي أطلق عليه مصطلح إثولوجي، وأسماه الفيلسوف سان سيمون بالفيزيولوجيا الاجتماعية،

أ) مفهوم علم الاجتماع:

اختلف علماء الاجتماع في إعطاء تعريف موحد لهذا العلم ولا تزال عملية تحديد مفهومه إحدى الفروقات الجوهرية بينهم منذ بداية ظهوره، واستمرت حتى مع مراحل تطوره، وقد تعددت تعريفات علم الاجتماع نظرا لتعدد المذاهب والنظريات، وكذا توجهات المفكرين حول طبيعة الموضوع الذي يقوم عليه هذا العلم، وفيما يلي نستعرض مجموعة من التعريفات:

- **حسب ابن خلدون:**

وعرفه على أنه علم العمران البشري وظواهره، وهو العلم المختص بفهم طريقة الناس في العيش والحياة معا، وتأسيس علاقات الإنتاج والتزاوج وبناء المجتمع والسياسة والقانون.

- **حسب أوغست كونت :**

لم يضع اوغست كونت تعريفا لهذا العلم بحد ذاته إنما ركز على أهمية وجوده كعلم يهتم بالدراسة الموضوعية لمجمل القوانين الأساسية التي تخضع لها الظاهرة الاجتماعية، واعتبر الظواهر البشرية والإنسانية هي موضوع هذا العلم.

- **حسب ماكس فيبر:**

هو العلم الذي يهتم بدراسة العلاقات والسلوك الاجتماعي ووصفه وتحليله، وهو علم تجريدي يدرس العمليات الاجتماعية، والبناءات والأنماط النموذجية للكيانات الاجتماعية الثابتة أو المستقرة نسبيا.

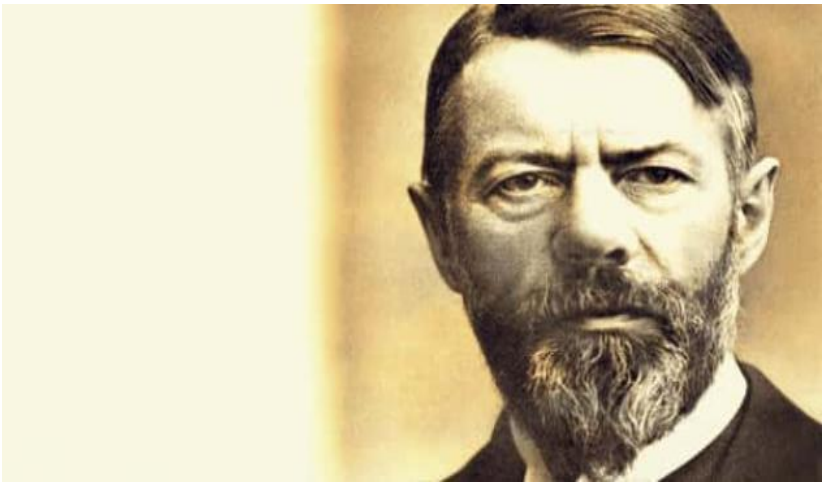

- **حسب هربرت سبنسر:**

إنه العلم الذي يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية مثل الأسرة والضبط الاجتماعي، والعلاقات بين النظم المختلفة والعلاقات بين النظم المختلفة، علاوة على أن علم الاجتماع يقوم بمقارنات متعددة بين المجتمعات على اختلاف أنواعها لمعرفة تطورها، كما يتناول علم الاجتماع دراسة البناء والوظيفة التي توجد في المجتمعات عامة.

- **حسب إميل دوركايم:**

هو العلم الذي يهتم بدراسة البناء الاجتماعي ويميز بين الظواهر الاجتماعية والظواهر الطبيعية وغير الإنسانية الأخرى.

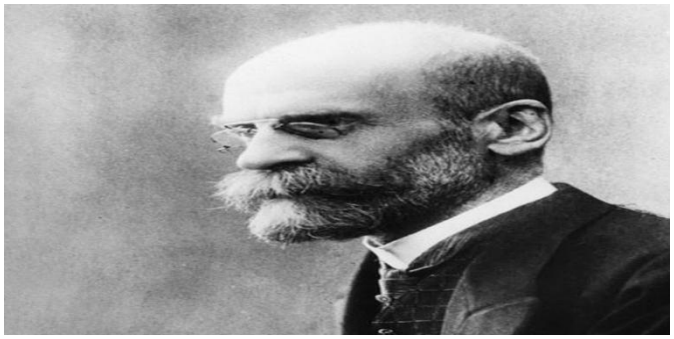

حسب كارل ماركس:

يرتكز علم الاجتماع عند كارل ماركس على دراسة المجتمع الانساني ككل تاريخي متغير، ويتحدد أساس البحث فيه على العلاقات الاجتماعية الاساسية الموضوعية وعلى رأسها: علاقات الإنتاج، بمعنى أن هناك وحدة لا تقبل الانفصال بين قوى الإنتاج ووسائل الإنتاج.

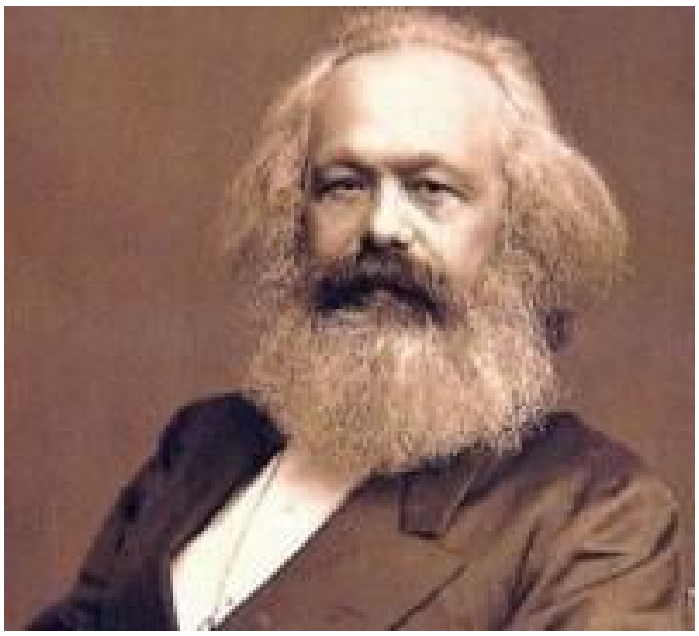

* لا تزال مشكلة وضع تعريف محدد لعلم الاجتماع من العمليات أو المشكلات التي تواجه البحثين في علم الاجتماع، بالرغم من مرور قرابة قرنين من الزمان على نشأة هذا العلم، وترجع طبيعة هذه المشكلة نتيجة مجموعة من العوامل المختلفة من أهمها:

1/تنوع تراث علم الاجتماع منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الوقت الراهن وتطور هذا التراث وتعدد مشكلاته وقضاياه المختلفة.

2/تباين نوعية النظريات والمناهج وطرق البحث والأساليب التي يتبناها الباحثين عند تناولهم القضايا ومشكلات علم الاجتماع، وعند دراستهم لها على المستويين النظري والميداني(الأمبريقي).

3/اختلاف علماء الاجتماع حول طبيعة المحور الأساسي الذي يقوم عليه علم الاجتماع.

4/اختلاف الاتجاه الايديولوجي الذي يعتنقه الباحثين والعلماء عند تحديد أهداف دراستهم وتناولهم للمشكلات والظواهر الاجتماعية والتي تدخل في عملية إعداد أهداف البحث السوسيولوجي عامة.

ب) أهمية علم الاجتماع:

إن أهمية نشأة علم الاجتماع جاءت مواكبة لظهور المجتمع الصناعي الحديث خاصة وأن هذا المجتمع له مجموعة من السمات المتباينة عن غيره من المجتمعات التقليدية السابقة، ولاسيما بعد أن أحدثت كل من الثورة الصناعية في بريطانيا، والثورة الفرنسية تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية لم تكن موجودة من قبل، ومن ثم جاءت الحاجة ماسة لظهور علم الاجتماع ليهتم بدراسة المشكلات و الظواهر الاجتماعية التي تعددت وتباينت نتيجة التغيرات السريعة التي طرأت على البناءات والنظم الاجتماعية ونوعية الوظائف العامة التي تؤديها في المجتمع الحديث، كما تكمن أهمية علم الاجتماع باعتباره من العلوم الاجتماعية في دراسة وتحليل المجتمع الصناعي الحديث، في ظل تعدد

مشكلاته و قضاياه وخصائصه، وقد أشار دوركايم إلى أهمية هذا العلم من خلال اهتمامه بدراسة الظواهر الاجتماعية ومعالجتها بوصفها حقائق والحصول على صورة واضحة عن المجتمع وكيفية انتظام الحياة فيه.

2) خصائص وأهداف علم الاجتماع

أ) خصائص علم الاجتماع:

* علم الاجتماع علم تجريبي قائم على الملاحظة وتحكيم العقل في الظواهر الاجتماعية والابتعاد عن المسائل الميتافيزيقية الخارجة عن الطبيعة، وإنما نتائجه تقوم على التفسير العلمي لموضوعات البحث الاجتماعي.

* علم نظري يقوم على تفسير العلاقات العلمية لموضوعات البحث.

* علم الاجتماع علم تراكمي، أي أن النظريات الجديدة تقوم وتنطلق على أنقاض نظريات أخرى سبقتها، بمعنى أن نتائج أي نظرية قديمة تكون بمثابة أرضية ومرجعية لنظرية جديدة، فأحدها يكمل الآخر فهناك استمرارية وتطور وتراكم.

* لا يتسم هذا العلم على أنه أخلاقي أو قيمي، أي أنه لا يعنى بالحكم على الأفعال الاجتماعية من الناحية الأخلاقية، فهو علم موضوعي يتحرى وصف الواقع وإيجاد الحلول.

ب) أهداف علم الاجتماع:

يمكن تلخيص أهم أهداف علم الاجتماع في النقاط التالية:

* وصف وتفسير الظواهر الاجتماعية والنظم والعلاقات داخل المجتمع وفق طرق علمية ذات مصداقية ومنهجية.

* توظيف نتاج البحوث والدراسات العلمية في تحقيق متطلبات المجتمع كالسلم والأمن الاجتماعيين،ومحاربة الجريمة والسلوكيات المنحرفة.

* وصف واقع المجتمع من خلال تفسير حياة الأفراد الاجتماعية وسلوكياتهم والعوامل المؤثرة فيها.

* الوصول إلى قواعد وقوانين محددة تعزز تطوير النظريات المفسرة للظاهرة الاجتماعية، وفهم طبيعتها وخصائصها.

* دراسة الظاهرة الاجتماعية والإلمام بجميع جوانبها في دراسة شاملة متكاملة.

* العمل على تصحيح بعض الأفكار والمفاهيم لدى الأفراد فبعض القضايا تبدو حقائق، لكنها في حقيقة الأمر أفكار تخص فئة معينة في المجتمع.

* يهدف علم الاجتماع إلى كشف العلاقة بين أفكار الفرد وسلوكه من خلال تنمية الخيال الاجتماعي لديه.